تعقيب جميل:

من جميل ما قيل في زيارة النبيّ ﷺ قول الذهبي تعقيباً على حديث عَبيدة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١٠: ١٦٧، ٣٠٨، الوافي بالوفيات ٢١: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

السلماني[1]، حين قيل لعَبيدة السلماني: إنّ عندنا من شَعر رسول الله ﷺ شيئاً من قِبَل أنَس بن مالك.

فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحبّ إليّ من كلّ صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

قال الذهبي: هذا القولُ من عَبيدة هو معيار كمال الحبّ، وهو أن يؤثر شعرةً نبويّةً على كلّ ذهب وفضّة بأيدي الناس. ومثل هذا يقولُه هذا الإمام بعد النبيّ ﷺ بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسنادٍ ثابت، أو شِسْعَ نَعلٍ كان له، أو قُلامة ظفرٍ، أو شَقَفةً من إناء شرب فيه ؟!.

فلو بذل الغنيّ معظَم أمواله في تحصيل شيءٍ من ذلك، أكنت تعدُّهُ مُبَذِّراً أو سفيهاً ؟! كلّا.

فابذل مالك في زَورةِ مسجده الذي بنى فيه بيده، والسلام عليه عند حجرته في بلده، وتملّأ بالحُلول في روضته ومَقعده، فلن تكون مؤمناً حتّى يكون هذا السيّد أحبّ إليكَ من نفسك وولدك وأموالك والناس كلّهم. وقبّل حجراً مكرّماً نزلَ من الجنّة، وضع فمك لاثماً مكاناً قبّلهُ سيّد البشر بيقين، فهنّأك اللهُ بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمِحجَن الذي أشار به الرسول ﷺ إلى الحجر ثمّ قبّل مِحْجَنَهُ، لَحُقّ لنا أن نزدحم على ذلك المِحجَن بالتقبيل والتبجيل، ونحن ندري بالضرورة أنّ تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل مِحْجَنِهِ ونَعله.

وقد كان ثابت البُناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ بيده فقبّلها، ويقول: يدٌ

---

(١) من كبار التابعين، روى عن عليّ ﷺ وابن مسعود، وهو من أفاضل أصحاب عليّ ﷺ ومن أئمة الحديث والقضاء، وكانوا لا يختلفون في أنّه أقضى من شُريح، توفّي سنة ٧٢ هـ على الأرجح. سير أعلام النبلاء ٤: ٤٠.

مسّت يد رسول الله ﷺ. فنقول نحن إذا فاتنا ذلك: حجر معظّم بمنزلة يمين الله في الأرض مسّته شفتا نبيّنا ﷺ لاثماً له.

فإذا فاتك الحجّ وتلقّيت الوفد فالتزم الحاجّ وقبّل فمه، وقل: فمٌ مسَّ بالتقبيل حجراً قبّلَهُ خليلي ﷺ[1].

نقول: وآل النبيّ الّذين هم من دمه ولحمه، وما مسّ أحدٌ جسده الشريف عناقاً ولثماً وتقبيلاً كما مسّه هؤلاء، أفلا يكونون أولى بالاعتناء من يد أنس بن مالك، أو شفة حاجّ قبّل الحجر، أو من محجنه ﷺ الذي حقّ لنا أن نزدحم عليه بالتقبيل والتبجيل ؟!.

(١) سير أعلام النبلاء ٤: ٤٢.